أمين فارس ملحس بين الحداثة والتقليد

(تحليل قصة مرزوق)

طالب الدكتوراه زهير سلمان صالح
قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
Almindeelzuhair78@gmail.com
الدكتور جواد سعدون زاده (الكاتب المسؤول)
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
j.sadounzadeh@scu.ac.ir

Amin Fares Malhas between modernity and tradition (Marzouk's story analysis)

PhD student Zuhair Salman Saleh
Department of Arabic Language and Literature , Faculty of Theology and Islamic Knowledge , Shahid Chamran University Ahvas , ahvaz , Iran
Dr.: Javad Sadounzadeh (Responsible author)
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature , Faculty of Theology and Islamic Knowledge , Shahid Chamran University ahvaz , Ahvas , Iran

الملخص:

تناولت في هذا البحث تجربة أمين فارس ملحس القصصية، من خلال مجموعته "من وحي الواقع" وقد حاولنا الغوص عميقا في تجربته على مستوى المضمون، واللغة، والشخصية، والبناء، وذلك بهدف الوقوف على سمات مرحلة الريادة، التي يعد ملحس أحد كتابها المتميزين، محاولين تلمس ملامح التقليد، وملامح التطور والتجديد فيها.

وكان اعتمادنا في منهج البحث فقد اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي وتم تقسيمه إلى مبحثين: تناولنا في المبحث الأول مطلبين: المطلب الاول: مسيرة حياة الأديب والمطلب الثاني: عمله ونتاجه الأدبي، أما في المبحث الثاني فكان على مطلبين ايضا، المطلب الأول: ملخص قصة مرزوق، اما المطلب الثاني: تناولنا تحليل القصة من خلال تقسيمها إلى ثلاث اقسام: وكل قسم يتضمن باب من ابواب على المستوى المضمون واللغة وتحليل الشخصية ثم الخاتمة التي خلصت إلى ابرز النتائج.

الكلمات المفتاحية: أمين فارس ملحس، الحداثة، التقليد، قصة مرزوق.

Abstract:-

Summary: In this research, I dealt with Amin Fares Malhas' anecdotal experience, through his collection "Inspired by Reality". Touch the features of tradition, and features of development and renewal. Our adoption of the research method was based on the descriptive analytical method and it was divided into two sections: In the first topic, we dealt with two demands: the first requirement: the life of the writer, and the second requirement: his work and his literary production. In the second topic, there were two demands as well. The first requirement: a summary of Marzouk's story, and the second requirement: we analyzed the story by dividing it into three Sections: Each section includes one of the chapters on the content level, language, personality analysis, and then the conclusion that concludes with the most prominent results.

Key words: Amin Faris Malhas, modernity, tradition, Marzouk's story.

المقدمة:

القصة القصيرة من الفنون الأدبية الحديثة التي تتصف بخصائص فنية تميزها عن غيرها من الفنون النثرية الحديثة، فهي تعتمد بحسب الناقد ـ محمد يوسف نجم ـ على "التعبير عن لحظة معينة أو حدث ما لتسلط عليه الضوء بطريقة مكثفة وفنية تحدث الإفادة والإمتاع للقارئ؛ لإنها تشد انتباهه لقضايا ربما تكون صغيرة لا ينتبه إليها، فتظهر القصة بطريقة فنية إبداعية مستخدمة الأساليب الأدبية واللغوية والتقنيات الفنية المختلفة".

أما القصة في الأدب العربي فلها أصول ممتدة من القرون الخوالي، وهذا ما نتبين من قصة سيدنا يوسف في القرآن الكريم. ويرى بعض النقاد العرب أن القصة لم تكن من جوهر الأدب، كالشعر والخطابة والرسائل، وأهم القصص العربية قصة حي بن يقظان والتي يقول عنها محمد غنيمي هلال في كتابه "النقد الأدبي الحديث": (فيها جوانب نضج قصصي في الشرح العربي والتبرير والإقناع على الرغم أن القالب القصصي فيها ليس سوى ذكر الآراء الفلسفية الكثيرة المثبتة في النص).

أما القصة القصيرة في الأردن، فلم تختلف عن مثيلاتها في البلدان العربية، فهي حديثة العهد، وقد ظهرت في بدايات القرن العشرين كما يرى الناقد حسن عليان، حيث "نشأت في ظل ازدهار الرومانسية التي هدفت إلى إعلاء كلمة الفرد والتأكيد على حريته من حيث النشأة والتطور تبعا لنشأة وتطور الطبقة البرجوازية الحاضنة الحقيقية للرومانسية".

وإذا أردنا أن نتبين ملامح القصة القصيرة في الأردن فإننا نجد أن القصة مرتبطة ارتباطاً قوية بالواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، لذلك صورت القضية الفلسطينية، والوطن المسلوب والشخصية التي تحس بالتشرد والإهانة وفقدان الوطن

التمهيد:

لقد أجمع الدارسون على أن الدكتور محمد صبحي أبو غنيمة هو صاحب أول عمل قصصي في مسيرة القصص في الأردن، وذلك بمجموعته (أغاني الليل) عام ١٩٢٢م. وبهذا تكون بداية هذا الفن قد جاءت مرافقة لانطلاق حركة نمو كبير في هذا القطر على شتى الصعد: التعليمية، والاجتماعية، والثقافية، وأن حركة أدبية نشطة قد بدأت، وساهم فيها

الملك عبد الله، ومصطفى وهبي التل، وأبو غنيمة، وفؤاد الخطيب، ومحمد الشريقي، وحسني زيد الكيلاني، وتيسير ظبيان، وروكس العزيزي وغيرهم. وهي حركة عربية الملامح نقلت الوطن إلى عالم الكتابة الإبداعية وفي الوقت الذي نجد فيه من يتحمس لمحاولة أبي غنيمة، ويثمنها عالية إلا أن بعض الدارسين يرون أنها لا تمثل قصص قصيرة بالمعني الفني.

ونميل إلى القول بأنها أقرب إلى المقالة الأدبية الذاتية، التي تتخذ الأسلوب القصصي إطارة لها، كما عرف في بعض تجارب جبران خليل جبران ولا نكاد نصل إلى سبعينات هذا القرن حتى يكون الإيراني، وملحس، والناعوري، في طليعة الكتاب المتمرسين بفن القصة. ويذهب أحد الباحثين إلى أن الإيراني، وأمين فارس ملحس يشكلان معلمة متقدمة في مسيرة القصة القصيرة في الأردن في الخمسينات، والستينات، والسبعينات، ويؤلفان معا مدرسة ذات قيمة جديدة، ومذاق جديد، ومعنى جديد في فنها القصصي وهذا مما يجعل تجربتهما جديرة الفاعل في مسيرة فن القصة القصيرة في الأردن.

وسنخص بهذه الدراسة تجربة أمين فارس ملحس في احدى قصص مجموعته الأولى "من وحي الواقع" التي أصدرها عام ١٩٥٢م.

المبحث الأول

أمين فارس ملحس

المطلب الأول

سيرة حياته

ولد امين فارس ملحس في القدس تاريخ ١٠ آذار ١٩٢٣ م، وهو ينتمي إلى عائلة ثرية الا ان البيت الذي تربي فيه كان يعيش عيشة متوسطة الحال مما جعله يشعر دائما مع الفقراء والمحتاجين.

تلقى تعليمه الأولى في القدس، وهي المدينة التي عشقها وضلت في قلبه، ولم ينساها ابدا حتى ان كثير من احداث قصصه كانت تدور في ضواحيها، وضل يعيش على ذكراها بعد ان اخرج منها، لقد كان للبلدة القديمة حاراتها وازقتها واسواقها الشعبية الاثر الاكبر في تكوينه الفكري والوجداني يقول: (قد تستغربون اذا قلت لكم انني احج إلى باب خان الزيت وحارة

النصارى في القدس وباستمرار اتجول بين الازقة المعتمة واستنشق هواءها القديم)[١].

حصل على شهادة (المترك) الفلسطيني عام ١٩٤٠ م ولما كان من المتفوقين دراسيا فقد التحق بالكلية العربية وان الكتاب المهم الذي تركه الاستاذ امين ملحس في ميدان التربية هو كلمة في اصول تدريس العربية، دراسة تقع في حوالي ثمانين صفحة، لا تزال مخطوطة تحتفظ بها زوجة المرحوم في بيتها.

لقد بدأ الدراسة بمقدمة عرف فيها اللغة، ثم بين وظيفتها واهمية تعليمها، وهو يرى أن اللغة وسيلة يمكن بواساطتها تحليل أية صورة أو فكرة ذهنية إلى اجزائها، والوظيفة الأساسية للغة كما يراها الأستاذ أمين ملحس، وهي التفاهم لا التعبير فقط، لان الغرض من اللغة احداث استجابات معينة عند من توجه اليهم، أي أن هناك طرفين معنيين في الأمر هما: معتبر ومستقبل[٢].

المطلب الثاني

نتاجه الأدبي

اما نتاجه فقد كتب القصة المؤلفة والمترجمة والمقال المؤلف والمترجم، وبحث في شؤون التربية والتعليم ومارس كتابة المسرحية الاذاعية ايضا والمسلسل الاذاعي (ولكن هوى قلبه وقلمه كان مع القصة القصيرة)[٣].

وفي مجال القصة القصيرة، نشرت له اول مجموعة قصصية سنة ١٩٥٢ م، بعنوان (من وحي الواقع) كتب مقدمتها الاستاذ محمد ابو شلباية في القدس، ونشرت المجموعة الثانية سنة ١٩٧٣ م، بعنوان (ابو مصطف) وقصص اخرى، وقد قامت بنشرها دائرة الثقافة والفنون الاردنية، وكتب مقدمتها المرحوم محمود سيف الدين الايراني[٤]. وقامت رابطة الكتاب الأردنيين بنشر المجموعة الثالثة له بمناسبة اربعين وفاته سنة ١٩٨٣م. تحت عنوان ((ذيول)) وقد نشر بعض هذه القصص في المجلات، صدر العدد الأول منها سنة ١٩٥٦ م، وقد نشر في اعداد هذه المجلة عدة مقالات تربوية وركز اهتمامه على تعليم الاطفال في المرحلة التمهيدية والمرحلة الابتدائية ومن يستعرض محمل هذه المقالات تظهر له بوضوح جهوده في التربية ورؤيته العميقة الواعية وخبرته الواسعة، وهما هي مقالاته المنشورة في اعداد المجلة[٥]:

- ((اعداد الطفل للقراءة)) العدد الأول.
- ((صحائف الخيرات في تعليم القراءة)).
- ((انتاج وسائل الايضاح البصرية)).
- ((تعليم القراءة للصف الثاني الابتدائي)).
- ((تعليم الكتابة للصفوف الابتدائية)).
- ((تفهموا الطفل قبل تعليمه القراءة والكتابة))
- ((دفاع عن الطريقة الجميلة))
- ((كيف نعلم الطريقة الجميلية))
- ((مرحلة الانتقال من الاول الابتدائي إلى الثاني)[٦].

وفي سنة ١٩٥٢ م اوفد في بعثة دراسية إلى المركز الدولي للتربية الاساسية في العالم العربي، التابع لليونسكو في (سرس الليان) في مصر، حيث أمضى هناك سنتين وحصل على دبلوم التربية، عمل بعدها معلما في دار المعلمين في بيت حنينا قرب القدس[٧].

ثم انتدب لوكالة الغوث مفتشا للتعليم في منطقة الخليل، ومساعدا لمدير التعليم في رئاسة الوكالة بعمان، عاد بعدها إلى وزارة التربية الاردنية وتسلم اعمالا عديدة، فكان مفتشا مركزيا للغة العربية، ثم امينا عاما لمجلس التربية والتعليم، فرئيسا لقسم التوثيق التربوي والمطبوعات وفي هذه الفترة تعاون بإخلاص مع من قصده من طلاب الدراسات العليا في الجامعة الاردنية فقد عرف عنه دقته في توثيق المعلومات واختيارها، وذلك بشهادة كل من تعاملوا معه من طلاب واساتذة[٨].

ثم تولى تحرير مجلة " رسالة المعلم " الأردنية، أما في القدس تخرج فيها سنة ١٩٤٣م، وبعد تخرجه عمل معلما في المدرسة الصلاحية في نابلس، ثم معلما في بيت لحم، كما عمل في الكلية الرشيدية في القدس حتى عام ١٩٨٤ م، وكان في الوقت ذاته يعمل مستشارا ثقافيا في محملة الشرق الأدنى للإذاعة العربية في بافا وقدم في هذه المحطة برامج عدة منها[٩]:

- (اسطورة اوزيريس، تمثيلية قصيرة دون تاريخ).
- (كلمة إلى مستمعاتنا قدمها ضمن برنامج (المرأة)).
- (مقتطفات من كتاب موريس مترلنك).
- (مدام مادلين ملسن).
- (كليو باطرة.. كما يراها معاصروها).

وتكريما ووفاءا له، قامت رابطة الكتاب الأردنيين بنشر اخر مجموعة من قصصه بعنوان " ذيول " كتب مقدمتها الاستاذ الدكتور هاشم ياغي، الاستاذ بقسم اللغة العربية بالجامعة الاردنية ومما جاء في المقدمة " هذه مجموعة من قصص قصيرة تقدمها رابطة الكتاب الاردنيين إلى القراء، من انتاج المرحوم الأستاذ امين الاردنية والعربية، فنشر في مجلة " القلم الجديد، قصتين: " الاسطر الحمراء " و " طريدا " كما نشر قصة "ابو مصطف" في مجلة " العربي" الكويتية إضافة إلى قصته "هل رايت احمد" ونشر في مجلة " فكر الأردنية قصتين هما: " شموع العمر" و "الصرة الصغيرة"[١٠].

المبحث الثاني

قصة مرزوق

المطلب الأول

ملخص القصة

القصة عنوانها "مرزوق " وهو اسم الحمار الذي اشتراه بعد أن استدان ثمنه من صديق أبيه الذي وافق على تسليفة المبلغ على أن يرده مع فوائده في مدة وجيزة! الاسم الذي أطلقه نعمان على الحمار له دلالته الرمزية. وتشاء الأقدار أن يقضي نعمان مدفونا تحت أكوام التراب التي انهالت عليه وهو يحاول إزالتها بفأسه لينقلها بعد ذلك على الحمار "مرزوق" إلى المكان المخصص لها حدث هذا في زمن مبكر ! " يا للهول انقض سقف الكهف وجدرانه كلها دفعة واحدة على نعمان فقضت عليه فورا. انهال الكهف ذو التراب اللين غير المتماسك.. إذ من تقاليد ممارسي هذه الحرفة قولهم إن للكهف ضحية كل عام وكانت ضحيته في هذا العام الشاب المجد نعمان، وما إن سمع المرابي بما حدث لنعمان حتى حضر

إلى بيت والد نعمان يطالب بالمبلغ الذي تم استلافه منه. وهنا يشير الوالد إلى الحمار "مرزوق" فيقتاده المرابي خارجا إلى الشارع ! في هذه القصة لا يني القاص أمين ملحس عن وخز نفوسنا وخزا بما في الحياة من مفارقات، فحين مات نعمان مدفونا تحت التراب كان القصر الذي ينقل الحور إليه قد تم بناءه وتحول إلى شعلة وهاجة من أنوار النيون الباهرة البديعة الملونة، وانبعثت من نوافذه موسيقى الرقص الصاخبة. يعقد الكاتب مقارنة بين القصر الذي قضى نعمان مدفونا تحت التراب قبل أن ينقل الحور الحريري إليه وبين الكوخ الحقير الذي تعيش فيه أسرة نعمان وهي مقارنة تعري واقع الشريحة المترفة التي تستنزف عرق المكدودين من الناس دون أن تعبأ بمصيرهم. واقع ما زال يحط من قدر إنسانيتنا إلى اليوم، فاقمته آفة " العنصرية.

المطلب الثاني

تحليل القصة

نلاحظ أن الانتاج القصصي للأديب قد تراوح - شأنه شأن أبناء جيله - بين التقليد تارة والتجديد تارة أخرى، بين تفلت الأدوات حينة وامتلاكها حينا آخر، بين هنات جيل الرواد وخبرة المتمرسين، ولذلك سوف نقوم بتحليل احدى اعماله الرائعة وهي قصة مرزوق ولكن على عدة نواحي وهي:

أولاً: على مستوى المضمون

إن موضوع العمل الفني موجود في حياة الإنسان من خلال واقعه، فموضوع الفن هو الإنسان في علاقاته بالواقع الذي يعيش فيه، ولكن انعكاس الواقع الموضوعي في الفن ليس انعكاسا، بل هناك نشاط الفنان وموقفه وتجربته، وبالتالي فهناك فرق هائل بين الموضوع والمضمون(١١).

لأن الفن هو إدراك جمالي للواقع، بمعنى أن المبدع يتعامل مع موضوعه جمالية ليحوله إلى مضمون فني، وذلك بطرحه في شكله الفني الملائم، الذي يستطيع أن ينتظم عناصر التجربة في بنية فنية متماسكة.

وتظل الفكرة - للأسف - على سطح الصورة الأدبية، مما يحرم التجربة من تحقيق شكل فني يجمع أجزاءها في بنية متلاحمة وتخلق فنا، والعواطف مهما تأججت وفاضت لا

تضمن تقديم تجارب ناضجة، فالواقعية ليست نقلا آلية ساذجا للواقع" إنها تقبض على الحياة بأكملها كجمرة ساخنة، وتعكسها في مرآتها بأمانة وصدق"[١٢]. وتظل مشكلة الأدب التسجيلي أنه مرتبط بظرفه التاريخي، وبحركة الواقع التي ينبع منها، ولكنه لا يصل إلى حالة فنية متقدمة، إنه يفتقر إلى الصياغة الفنية لحركة الواقعة[١٣].

ولكن، هل نجح أمين ملحس في طرح صورة فنية متقدمة، أم أنه اكتفى بتصوير واقعه بكل آلامه وقتامته تصوير مطابقة، فيما يشبه الصور الفوتوغرافية، التي لا ندين لها الأ بفضل تقديم الواقع بكل خشونته، وقسوته، وتجهم ملامحه؟

- نعم، لقد استطاع أديبنا أن يقدم مضامين فنية لموضوعات واقعه في عدد من تجاربه[١٤].

فمن خلال قصة مرزوق هذه التجربة التي تجاوز النقل المباشر والآلي للواقع، إلى إعادة صياغة للواقع فنية، فهي تنطلق منه، ولكنها تغايره إلى حد ما، بحيث تظل لها فرديتها وتميزها وفيها تتجلى موهبته، ومهارته، وتمرسه في امتلاك أدواته كما يبدو فيها أثر اطلاعه الواسع على الأدب الغربي، وبخاصة فيما يتصل بفن القصة القصيرة، وما كتبه من مقالات عن أعلامها واتجاهاتهم الفنية، هذا بالإضافة إلى ما ترجمه من تجاربهم[١٥].

لقد أجمع كثيرون على تميز تجربة أمين ملحس في هذه القصة، ورأوا أنه قد تسم بها آنذاك قمة بين القصاصين في فلسطين والأردن، بحيث أن شخصية نعمان فيها وما يحمله من صفات كأحلامه فيها، وحماسته، واندفاعه، وحلمه بتغيير واقعه بوسائل عملية ممكنة، وحذر أمه، وخشيتها عليه، جعل من الأم وابنها شخصيتين متواصلتين بشبكة من علاقات واقعهما، مما منح البنية القصصية واقعها، ووعيها، والاستناد على الفكر الاجتماعي المتفتح المتقدم ففي هذه التجربة المبكرة، وما يماثلهما من تجارب في مجموعته، نلاحظ وعيه بفن القصة، وكيفية تسخير الجو، والحدث نحو هدف محدد ساعية إلى تحقيق وحدة الأثر أو وحدة الانطباع[١٦].

ثانياً: على مستوى اللغة

حين يتأمل الدارس لغة أمين ملحس، تستوقفه ملاحظات عديدة، وسمات متباينة، حين تحسب عليه، وحينا آخر تكون في ميزان حسناته ويدهش الدارس - ولا شك - لهذا

الجهد الكبير والمتصل الذي بذله أديبنا خلال عمره الإبداعي، فلم يتوان، ولم يأل جهدا في بذل أقصى مستطاعه لامتلاك اللغة الأليق لفن القصة القصيرة ويدرك المتأمل بالتالي أن اللغة كانت هاجسه وجيله، والتحدي الأكبر الذي واجههم في دورهم الريادي التأسيسي ولهذا ربما كانت اللغة بمفردها عند أديبنا، أو عند جيله جديرة بدراسة مستقلة مستأنية، لتثمين ذلك الجهد المبذول في تجاربهم، والذي أعد - في مطلع السبعينات - لظهور جيل كتاب القصة الحديثة في الأردن(١٧).

لقد وقع كاتبنا فيما وقع فيه الرواد من مزالق على مستوى التشكيل اللغوي، مما أفسد عليه اكتمال عدد من تجاربه، ولا سيما في مجموعته الأولى" من وحي الواقع." وفي الوقت نفسه تتجلى لنا مرونته، واستنارته، ونزوعه إلى تطوير لغته، وتجاوز ما وقع فيه من هفوات(١٨).

يبدو جليا في "قصة مرزوق" الاعتماد على الألفاظ الموروثة، والجمل الجاهزة، التي يستدعيها من مخزون الذاكرة، ولم يكن كاتبنا في هذا بدعة بين أبناء جيله، وربما كانت لغة جيل الريادة في مصر قريبة الشبه منها، مع ملاحظة أنها في مصر كانت أكثر صفاء وهدوءا ودقة(١٩).

وكذلك تبين فيها استخدامه للجمل الجاهزة، والألفاظ التراثية، حيث أنها أعلى تجارب مجموعته فنية، ولذلك سوف نذكر بعض الجمل منها لنظهر كيف كان يتكيء على الصور اللغوية المكررة، مثل قوله:

وجهه يطفح بشرا... ناحلة شاحبة... ثاب الفتى إلى رشده... يكاد يجن جنونه غبطة وحبورا... ففغر فاه... وقارهما ورزانتهما... فخيم على الجميع سكوت... اكفهر وجهه... تداعب مخيلته... ما يقيم أوده... مما زاد الطين بلة... نشمر عن ساعد الجد...يحدوه الأمل... كان يسدد بفاسه ضربات محكمة.. الذعر والهلع (... ولعل في هذا القليل غناء عن ذكر الكثير الكثير من هذه التعابير الجاهزة، وقريب الشبه من هذه السمة ميله في تجاربه الأولية بخاصة إلى الاستشهاد والتضمين من الشعر ومأثور القول)(٢٠).

ومن الملاحظ أن أكثر تجاربه تنتمي للأدب التسجيلي، وأنها جاءت مرتبطة بظرفها التاريخي، وبحركة الواقع الذي نبعت فيه، وأنه وجيله كانوا مسكونين بجملة من الهموم

الملحة، التي كانت تضغط بقوة على عقولهم، ووجدانهم، وأعصابهم، وجعلتهم على نحو ملحوظ مشغولين بفكرة التوصيل، وتقديم أفكارهم مجردة على حساب تقديمهم لصياغة فنية لحركة الواقع وعلاقتهم به لذا شاعت التقريرية والمباشرة في عدد ٢٤ من تجارب أمين ملحس، وأطلت بوضوح شخصية الواعظ والمربي، والخطيب(٢١).

بعد هذا التناول لعدد من ملامح التقليد والتجديد في لغته واسلوبه، يجدر بنا أن نتوقف قليلا بإزاء عنصر فني لغوي مهم جدا في تشكيل القصة القصيرة، ألا وهو الحوار

فالملاحظ أنه يعتمد كثيرة في تشكيل تجاربه على لغة السرد البسيطة، وأسلوب الحكي البسيط أيضا، ولا يمثل عنصرا فاعلا في دفع الحدث وتطويره، أو في الكشف عن أبعاد الشخصية وعوالمها النفسية، وكما ألمحنا من قبل أن تيار السرد باللغة الفصحى ذات الألفاظ التراثية، كان يطغى أحيانا على لغة الشخصيات، مما يفقدها واقعيتها ومصداقيتها، وإنما كان باستطاعته أن يصوغها في لغة مجدولة من خيوط العامية والفصحى، دون أن يضحي بسلامة التركيب النحوي، ففي تجربته المتقدمة فتية في قصة مرزوق، يمكن أن نقف على بعض تلك الصور الحوارية التي جرفها تيار السرد العالي الأنيق لنتأمل حوار نعمان المسكين مع أمه حين قال لها بعد أن اشترى حماره: "أتدرين بكم اشتريته؟ كانت صفقة موفقة جدا" ثم يقول لها: "ألا تريدين أن ترى الحمار، حماري الجديد يا أماه " ونسمعه يتحدث إلى حماره بقوله: "لا غسلنك كل يوم" وتقول له أمه مداعبة: نسيت أن تعده بالعلف الجيد ونسمعه يقول لأمه": كم اشتهي يا أمي أن تهيئي لي فنجان من الشاي، وترد عليه: لا أكتمك يا بني بيتنا خالي من السكر(٢٢).

ولم يكن الحوار الداخلي (المونولوج) بأحسن حالا، فيحمد له لجوؤه إلى مثل هذه التقنية في هذه التجربة، ولكن مشكلته تمثلت في استخدام لغة متفوقة بالنسبة للشخصية، فبعد أن اشترى نعمان حماره جلس مفكرة ماذا يعمل؟ فأخذ يسأل نفسه: ها هو ذا الحمار موجود، فماذا يشتغل؟ فيجيب قائلا: "إنه لن يتورع أن يمارس أي عمل، بل سيضرب بكل الاعتبارات الجوفاء عرض الحائط، فالعمل الشريف مهما كان ليس عارا - هل يشتغل حمالا؟ لا لأن الحمالين لا عد لهم ولا حصر، ولأنه سمعهم يتذمرون(٢٣).

ثالثاً: على مستوى الشخصية

لم يلجأ أمين ملحس إلى طريقة ثابتة في تصوير شخصياته، فقد استخدم في عدد من تجاربه الطريقة التحليلية سبيلا لرسمها من الخارج على نحو مباشر، فقام بوصفها دفعة واحدة، على نحو صريح، مسجلا أبرز ملامحها، شارحة عواطفها، وبواعثها، وأفكارها، وربما قدم رأيه(٢٤). فيها صريحة دون التواء.

وحين نتأمل هذه التجارب نجد أنها تنتمي إلى المرحلة الأولى من إبداعاته القصصية، وتعد هذه الطريقة هي الأسهل في تقديم الشخصية من خلال لغة السرد، ولا يعني استخدامه لهذه الطريقة أننا نشير إليه بإصبع الاتهام، فمعظم كتاب القصة يستخدمون هذه الطريقة المباشرة في رسم الشخصية مازجين بينها وبين الطريقة غير المباشرة (التمثيلية)، طالما أنهم يتخذون من السرد والحوار سبيلا لتشكيل تجاربهم. ولكن اعتماده على تلك الطريقة المباشرة فحسب في تلك التجارب التي ألمحنا إليها، يعني أن أدواته لم تكن حينئذ قد اكتملت، ولا وعيه بفن القصة القصيرة وطرق كتابتها قد تبلور (فالكاتب لا يلجأ إلى الطريقة التحليلية إلا حين تعوزه الوسيلة لتهيئة الظروف التي تتيح للشخصيات أن تتكشف بالطريقة الأخرى)(٢٥).

لذا نميل إلى القول بأن هذه التجارب تمثل منحى تقليدية عنده سرعان ما طوره، مازج بينه وبين الطريقة التحليلية، التي يؤثر النقد الحديث استعمالها، لأن تكشف الشخصية من الداخل إلى الخارج أقوى أثرا، وأدق تعبيرا، حيث ينتمي الكاتب نفسه جانبا، ليتيح للشخصية أن تعبر عن نفسها، وتكشف عن جوهرها بأحاديثها وتصرفاتها الخاصة، وقد يعمد إلى توضيح بعض صفاتها عن طريق أحاديث الشخصيات الأخرى عنها، وتعليقها على أعمالها(٢٦).

ونستطيع القول ايضا إن سائر تجاربه - عدا ما سبق ذكره - قد مزجت بين الطريقتين معا، فتارة يعتمد على واحدة أكثر من الأخرى، وتارة يوازن بينهما، أما الشخصية الفنية الثانية، والتي شكل حضورها استثناء في تجاربه، فهي الشخصية النموذجية، ويعد سعيه إلى تحقيقها تطوير لفنه القصصي، وعلامة على النضج الفني، وإدراكا للعلاقات الاجتماعية في واقعه، وقدرة على تشكيل شبكة علاقات فنية تعادل شبكة العلاقات الاجتماعية(٢٧).

وان الشخصية النموذجية تكون شخصية نامية، متفردة، لها قدرة على التعميم، تتكشف لنا تدريجيا خلال القصة، وتتطور بتطور حوادثها، ويكون تطورها عادة نتيجة لتفاعلها المستمر مع هذه الحوادث، وهي تشكل المطلب الأسمى في الانجاز الفني، والوصول إليها يتطلب قدرة فنية متطورة، فهي تتجاوز حالة المطابقة للواقع، لكونها تشكل بديلا فنيا للشخصية الواقعية(٢٨).

ويمكن أن نلمس هذه الشخصية الفنية في عدد محدود من تجاربه، تفاوتت فيها قدراته على تقديم هذا النموذج الأرقى فنية فهو يصدر مجموعته الأولى بقصة متقدمة فنية، هي قصة مرزوق ونستطيع القول بأن شخصية نعمان في تجربة " مرزوق " تتجاوز واقعها الذي نبعت منه، ومثلت طرحة لحالة إنسانية مرتبطة بظرفها الإنساني، وهي شخصية لها تميزها وفرادتها، وقدرتها على التعميم، مما يجعلها معادلا لفئة بائسة أو طبقة مسحوقة، في مقابل طبقة الأغنياء والمرابين في المجتمع و هي شخصية نامية، متطورة، ناقمة على الواقع، و تسعى إلى تغييره وتفلح نسبية في ذلك والكاتب يقدم من خلالها رؤية للواقع، وما يسوده من فوارق طبقية، وما يحلم به من تغيير لصالح أبطاله وطبقتهم.

الخاتمة:

لقد كان ملحس - مثل ابناء جيله يكتب المقالات ويؤلف المسلسلات الإذاعية، والمسرحية الإذاعية، ويبحث في شؤون التربية، ويؤلف المعاجم، ويعني بالقصة ترجمة وإبداعا، فعندما نقرأ قصصه فندرك حقا أنه لم يكن كاتبا محترفا لهذا الفن، منقطعا له، إنما هو يتوسل به التوصيل فكره، وموقفه، وتجربته، وهو يعلم مدى إقبال الجماعة آنذاك على هذا الفن، وما لفن الحكي والقص من سحر في النفوس، ولا سيما أن فني الرواية والقصة القصيرة ولكن ميزة " أمين ملحس" هي سعيه الدائب لتجاوز ما يقع أو وقع فيه من هنات، ورغبته الملحة في تطوير فنه، فيقدم مثلا في مجموعته الأولى تجربته المتقدمة فنيا بالنسبة لمرحلة (قصة مرزوق).

لقد سعت هذه الدراسة إلى تجاوز سطوح تجربة "ملحس والغوص فيها عميقا، مما أتاح لنا الوقوف على سمات المرحلة بوجهيها: ملامح التقليد، وملامح التطور والتجديد، والأخيرة تلك هي التي تواصل معها جيل القصة الحديثة في الأردن والتي خلصت إلى أهم

النتائج والتوصيات:-

١. يعد أمين ملحس أحد كتاب جيل الريادة والتأسيس المتميزين في كتابة القصة القصيرة في الأردن

٢. كان له دور بارز من خلال الاطلاع الواسع على التجارب غير العربية، مع دور نشط لحركة النقد الحديث

٣. يشكل امين ملحس مع الإيراني معلما متقدما في مسيرة القصة القصيرة، مما يجعل تجربة كل منهما جديرة بإلقاء المزيد من الضوء عليها، تثمينا لدورهما الريادي.

٤. وقد بدا واضحا من خلال الدراسة أن جيل "ملحس" مثل جسرا مهما بين مرحلتين، مرحلة البداية الساذجة المتعثرة، التي كانت تتلمس الطريق، وبين مرحلة القصة الحديثة التي انطلقت مع بداية عقد السبعينات، وكان جيل هذه المرحلة أوفر حظا.

هوامش البحث

(١) امين فترس ملحس أمين فارس ملحس، القاص الاديب، ناصر علي ناصر، ١٩٩٧م، الأردن، الطبعة الأولى، ص ٢٦.

(٢) ناصر الدين الاسد، الاتجاهات العربية الحديثة، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٠٠ .

(٣) اسامة يوسف، مدخل إلى القصة القصيرة في الاردن، منشورات مجلة فكر، عمان، ١٩٨١م .

(٤) نعيم عبد الباقي، التطوير الفني لشكل القصة القصيرة، منشورات اتحاد العرب، دمشق، ١٩٨٢م، ص٢٥٤.

(٥) أمين فارس ملحس، القاص الاديب، ناصر علي ناصر، مصدر سابق، ص ٢٩.

(٦) نعيم عبد الباقي، التطوير الفني لشكل القصة القصيرة، مصدر سابق، ص ٢٥٥.

(٧) أمين فارس ملحس، القاص الاديب، ناصر على ناصر، مصدر سابق، ص ٣٠.

(٨) امين ملحس، ندوة الافق: مع القصة، ص٦.

(٩) امين ملحس، ندوة الافق: مع القصة، مجلة الأفق الجديد، العدد ٥٥، ١٩٦٢م، ص٧.

(١٠) عبد الرحمن ياغي، القصة القصيرة في الاردن، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، ١٩٩٣م، ص ٢٥.
(١١) عبد الله رضوان، النموذج وقضايا أخرى، منشورات رابطة الكتاب الأردنية، ١٩٨٣م، ص٢٣.
(١٢) صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، ص١٥.
(١٣) ناصر على ناصر، أمين فارس ملحس القاص و الأديب، دراسة ماجستير مخطوطة بالجامعة الأردنية، ١٩٨٦، ص ١.
(١٤) قراءات في القصة القصيرة " فن القصة القصيرة "، احمد موسى الخطيب، مصدر سابق،ص ١٠٥.
(١٥) القصة القصيرة في الأردن، عبد الرحمن ياغي، ص ٢٥.
(١٦) القصة القصيرة في فلسطين والأردن، هاشم ياغي، ص ٢٨٩.
(١٧) القصة القصيرة في الأردن، إبراهيم خليل، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٩٤ م، ص ٢٠.
(١٨) قراءات في القصة القصيرة " فن القصة القصيرة "، احمد موسى الخطيب، مصدر سابق، ص١٠٧.
(١٩) القصة القصيرة، الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٩٣.
(٢٠) قراءات في القصة القصيرة " فن القصة القصيرة "، احمد موسى الخطيب، مصدر سابق، ص ١٠٨.
(٢١) قصة مرزوق مجموعة " من وحي الواقع "، ص ١٤.
(٢٢) قراءات في القصة القصيرة " فن القصة القصيرة "، احمد موسى الخطيب، مصدر سابق، ص١١٤.
(٢٣) المصدر نفسه، ص ١١٥.
(٢٤) قراءات في القصة القصيرة " فن القصة القصيرة "، احمد موسى الخطيب، مصدر سابق، ص١١٧.
(٢٥) فن القصة، محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٠٠.
(٢٦) على شلش، في عالم القصة، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٩١.
(٢٧) قراءات في القصة القصيرة " فن القصة القصيرة "، احمد موسى الخطيب، مصدر سابق، ص ١٢٠.
(٢٨) فن القصة، محمد يوسف نجم، مصدر سابق، ص ١.

قائمة المصادر والمراجع

١. أحمد موسى الخطيب، قراءات في القصة القصيرة " فن القصة القصيرة "، جامعة البترا، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.
٢. إبراهيم خليل، القصة القصيرة في الأردن، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٩٤م.
٣. اسامة يوسف، مدخل إلى القصة القصيرة في الاردن، منشورات مجلة فكر، عمان، ١٩٨١م.
٤. امين ملحس، ندوة الافق: مع القصة، مجلة الأفق الجديد، العدد ٥٥، ١٩٦٢م.

٥. صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٠م.

٦. الطاهر أحمد مكي، القصة القصيرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

٧. عبد الرحمن ياغي، القصة القصيرة في الاردن، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، ١٩٩٣م.

٨. عبد الله رضوان، النموذج وقضايا أخرى، منشورات رابطة الكتاب الأردنية، ١٩٨٣ م.

٩. على شلش، في عالم القصة، دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨م.

١٠. محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩ م.

١١. ناصر الدين الاسد، الاتجاهات العربية الحديثة، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٧م.

١٢. ناصر على ناصر، أمين فارس ملحس القاص و الأديب، دراسة ماجستير مخطوطة بالجامعة الأردنية، ١٩٨٩م.

١٣. نعيم عبد الباقي، التطوير الفني لشكل القصة القصيرة، منشورات اتحاد العرب، دمشق، ١٩٨٢م.